حلوة يا مفتقة

تأليف: سناء شباني
رسم: جنى طرابلسي

أَحْبَبْتُ الحَلْوى التي قَدَّمَتْها إلَيْنا خالَةُ أُمّي «أُمُّ عَبْد» خِلالَ زِيارَتِنا لها أنا وأُمّي في بَيْتِها بمَدينَةِ بَيْروتَ وقُلْتُ بَعْدَ اللُّقْمَةِ الأُولى: «يم يم! لَذيذَةٌ هذه الحَلْوى الصَّفراء!»

قالت لي أُمّي على الفَوْر: «اسْمُها «مْفَتّقة» وهي مَصْنوعَةٌ من الأَرُزِّ والطَّحينَةِ والسُّكّر وبَهارِ العقْدَةِ الصَّفْراء.»

رَدَّدْتُ بِدَهْشَة: «مفتّقة!»

ضَحِكَتِ الخَالَةُ «أُمُّ عَبْد» وأنا أَعرِفَ مِن أُمّي أَنَّها في السَّبعينَ من عُمْرِها وهي نَشيطَةٌ وطَعامُها لَذيذ، ثمّ قالَتْ لي: «المفَتّقةُ حَلْوى بَيْروتِيَّةٌ نَطْبُخُها في آخِرِ يَوْمٍ أُربعاءَ من شَهْرِ نيسانَ، أَبْريل.»

سَأَلْتُها وقد أَحْبَبْتُ أن أَعْرِفَ أَكْثَر: «لماذا؟»

أَجابَتْني: «نُسَمّي يَوْمَ الأُرْبَعاءِ هذا «أَرْبَعَةَ أَيّوب» وأَيّوبُ علَيْه السَّلام، هو نَبِيٌّ من أَنْبِياءِ اللهِ عُرِفَ بِصَبْرِهِ سَنَواتٍ طَويلَةً على المَرَضِ الذي أَصابَهُ وقد شَفاهُ اللهُ بَعْدَ عَذابِه.

وحَلْوى المفتّقة يا سَلْمى تَحْتاجُ إلى الصَّبْرِ فهي تَبْقى فَوْقَ النّارِ لِساعاتٍ طَويلَةٍ مع

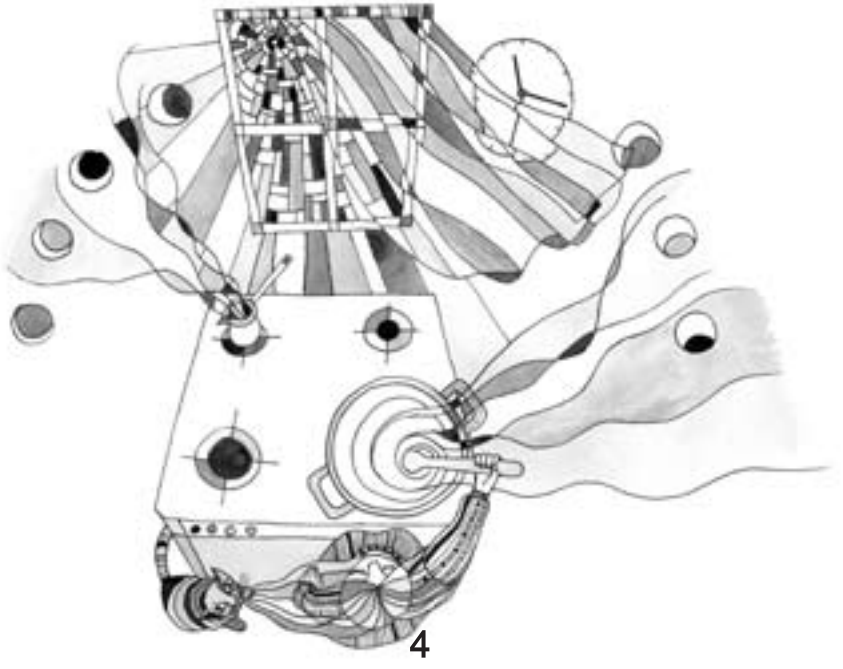

التَّحْريكِ دونَ تَوَقُّفٍ حتّى تُصْبِحَ جاهِزَةً.»

قاطَعَتْها أُمّي قائِلَةً: «لذلك لا وَقْتَ لَدَيَّ حتّى أَطْبُخَها يا سَلْمى.»

تَنَهَّدَتِ الخالَةُ «أُمُّ عَبْد» وقالَتْ: «رِزْقَ الله على أَيّامِ زمان.. كُنّا، كُلُّ سُكّانِ بَيْروتَ، نَخْرُجُ من مَنازِلِنا يَوْمَ «أَرْبَعَةِ أَيّوبَ» إلى تِلالِ بَيْروتَ وشَواطِئِها. نَقْضي طَوالَ

اليَوْمِ بِاللّعِبِ وبالمرَحِ ونَشْوي اللَّحْمَ ونَأْكُلُ المفتَّقة ونَعودُ في آخِرِ النّهارِ إلى بُيوتِنا مع ذِكْرياتٍ حُلْوَةٍ.»

سَكَتَتِ الخَالَةُ أُمُّ عَبْد وهي تَسْكُبُ الماءَ في

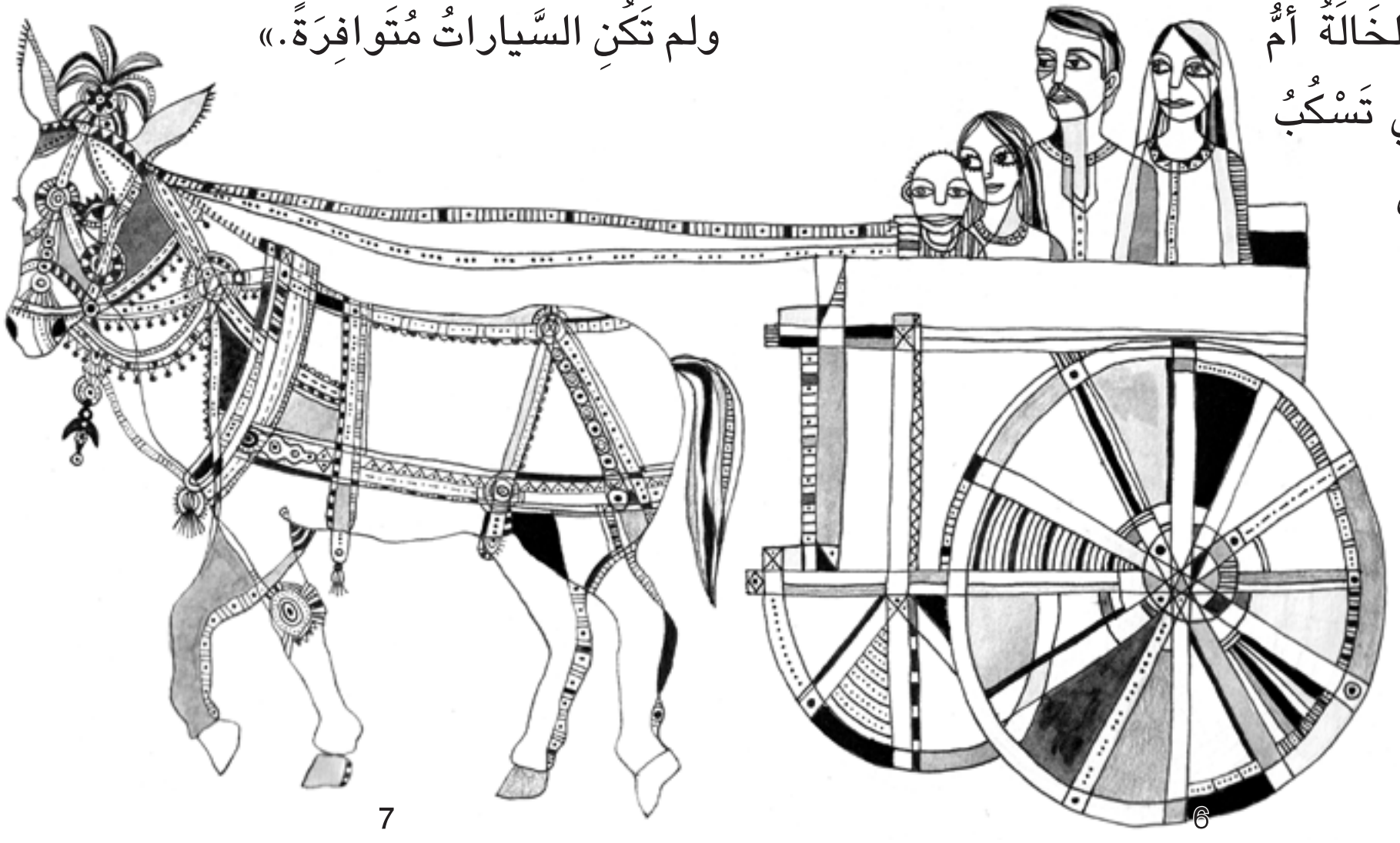

كوبَيْ سَلْمى وَأُمِّها وحينَها تَذَكَّرَتْ أُمُّ سَلْمى شَيْئاً فقالَتْ: «كانوا يا سَلْمى يَرْكَبونَ الطُّنْبُرَ لِلتَّنَقُّلِ في تلكَ الأَيّام وهو عَرَبَةٌ يُجرُّها بَغْلٌ ولم تَكُنِ السَّياراتُ مُتَوافِرَةً.»

تَذَكَّرَتِ الخالَةُ أُمُّ عَبْدٍ شَيْئاً جَميلاً لأَنّها ابتْسَمَتْ ثم قالَتْ: «عِنْدَما كُنْتُ في سِنِّكِ يا سَلْمى كُنْتُ أُحِبُّ ركوبَ عَرَبَةٍ صَغيرَةٍ تَجُرُّها دَرّاجَةٌ اسْمُها «الأُفّورَة». كانَ يَقودُها أَبي وَأَجْلِسُ معَ أُمّي في مَقْعَدٍ على جانِبِ الدّرّاجَةِ. كم كُنْتُ أُحِبُّ النُّزْهَةَ فيها إلى بَساتينِ بَيروتَ والأَحْراجِ.»

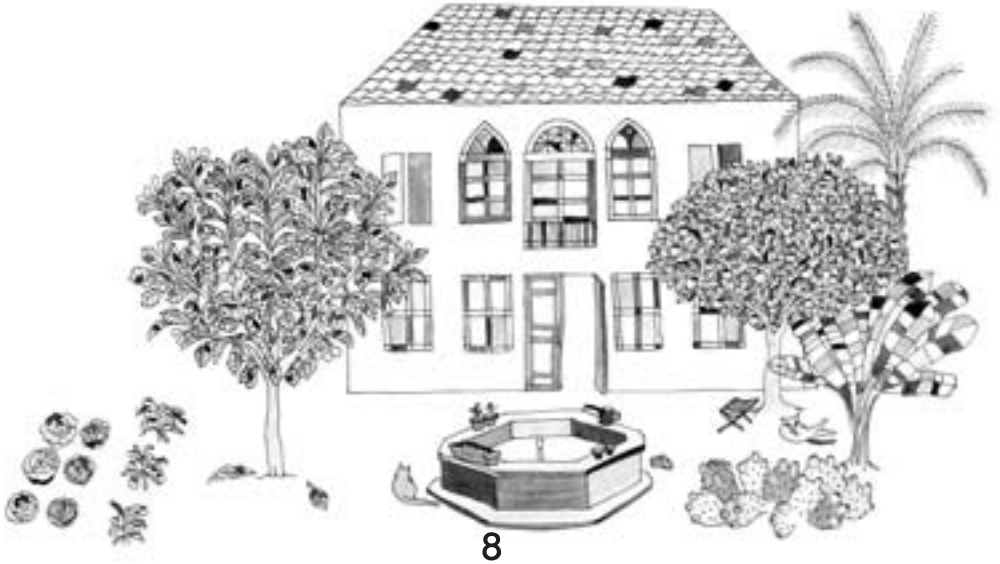

رَدّدَتْ سَلْمى بدَهْشَةٍ: «بَساتِينُ في بَيْروتَ؟» هَزَّتِ الخالَةُ رَأْسَها مُوافِقَةً وهِيَ تَشْرَبُ وبَعْدَ ذلكَ قالَتْ: «لم تَكُنْ تُوجَدُ المباني العالِيَةُ بل كُلُّ عائِلَةٍ تَسْكُنُ في مَنْزِلٍ غُرَفُهُ واسِعَةٌ وسَقْفُهُ عالٍ وحَوْلَهُ حَديقَةٌ فيها أَشْجارُ الفاكِهَةِ التي تَنْمو في السّاحِلِ كَشَجَرِ المَوْزِ والإِكّي دُنْيا والبُرْتُقال. وفي البَساتينِ يَزْرعونَ الخُضارَ على أَنْواعِها كالملْفوفِ والبَنَدورَةِ والمُلوخِيَّةِ وكانَ يَكْثُرُ الصُّبّار فَنَجِدُهُ في كُلِّ التِّلالِ.. يَنْمو لِوَحْدِهِ بِكَثْرَةٍ.» تَغَيَّرَ الحَديثُ بَعْدَ ذلك. تَبادَلَتْ أُمّي والخَالَةُ أَخْبارَ أَفْرادِ العائِلَةِ وأنا تابَعْتُ أَكْلَ حُصَّتي من حَلْوى المفتَّقةِ وأنا أَمْحو من رَأْسي

أَبْنِيَةَ بَيْروتَ المُرْتَفِعَةَ وشَوارِعَها الضَّيِّقَةَ وسَيّاراتِها الكَثيرَةَ وأَرْسُمُ بَساتينَ وأشْجاراً ومَنازِلَ وأنا وعائِلَتي نَأْكُلُ حَلْوى المفَتَّقَةِ على الشّاطِئِ ونَلْعَبُ وَنَسْبَحُ.

في طَريقِ عَوْدَتِنا إلى مَنْزِلِنا، رَجَوْتُ أُمّي أنْ تَطْبُخَ لنا المفتَّقةَ ووافَقَتْ ولكِنْ اِحْزَروا متى سَتَطْبُخُها؟

في آخِرِ يَوم أُرْبعاءَ من شَهْرِ أَبريلَ، أَيْ نيسانَ. طَبْعاً فَرِحْتُ ولكنَّ هذا يَعْني أَنّني سَأَصْبُرُ ثَمانِيَةَ أَشْهُرٍ ابْتِداءً منَ الآن.